

مجلة العلوم القانونية والاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

الأبعاد الاجتماعية في عمران القصور الصحراوية بالجزائر

The social dimensions in urbanization of desert palaces in Algeria

محمد خبيزي*

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، (الجزائر)، m.khobeizi@crsic.dz

تاريخ النشر: 2023/09/01

تاريخ القبول: 2023/08/01

تاريخ ارسال المقال: 2023/06/03

*المؤلف المرسل

الملخص:

تمثل القصور الصحراوية بالجزائر نمطا معماريا محليا له من المقومات ما يجعله محلا للدراسات والأبحاث في عديد المجالات العلمية، فالقصر يمثل نموذجا للمدينة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، إذ هو يتوفر على كل ضروريات الحياة والاستقرار، خاصة في البيئة الصحراوية القاسية، وقد خضعت عمارة القصور الصحراوية بالصحراء الجزائرية لمجموعة من الشروط في تخطيطها وتوزيع وحداتها العمرانية وعناصرها المعمارية، هذه الشروط أملتتها التعاليم المستمدة من العادات والتقاليد السائدة في تلك المجتمعات، أي أن عمارة القصور الصحراوية تبرز لنا مجموعة من الأبعاد الاجتماعية التي نستقيها من خلال دراستنا لهذه القصور، لأنها تجمع ثلاث مكونات رئيسية، هي الجانب الاجتماعي والعمراني والاقتصادي، ومن خلال دراستنا لمجموعة من النماذج يمكن أن نستخلص أبعادا اجتماعية لمجتمع القصور الصحراوية الجزائرية، تجمع بين سلوكيات الأفراد والأسر والجماعات داخل هذه القصور، وتعطي لنا صورة عن نمط معيشي لنظام الحياة الذي يظهر لنا من خلال هذه العمارة التقليدية في الصحراء الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: العمارة؛ القصور؛ الأسرة؛ التقاليد

Abstract :

The desert palaces in Algeria represent the local architectural style, and their composition makes them the subject of research in many scientific fields.

The palace represents a model of the city in every sense of the word It has all the necessities of life and stability, especially in the harsh desert environment The architecture of desert palaces in the Algerian desert was subject to a set of conditions in its planning and distribution of its urban units and architectural elements.

These conditions are determined by doctrines derived from the prevailing customs and traditions of these societies.

That is to say, the architecture of desert palaces shows us a series of social dimensions that we have gained through studying these palaces. Because it combines three main components, namely social, urban, and economic aspects, By studying a series of models, we can derive the social dimensions of the Algerian desert palace community. It combines the behavior of individuals, families, and groups within these palaces, and gives us a picture of the lifestyle of the life system that appears to us through this traditional architecture in the Algerian desert.

Keywords: Architecture؛ Palace؛ Famil؛ Tradition

مقدمة:

تعتبر القصور الصحراوية - بالصحراء الجزائرية - سمة بارزة لعمارة محلية بمواد محلية وتقنيات محلية في بيئة أقل ما يقال عنها أنها قاسية، فقد أبدع المعماري والبناء الصحراوي في تطويع مواد البناء المستقاة من البيئة المحيطة به،

واستطاع أن ينجح إلى حد كبير في إنشاء عمارة تمكنه من الاستقرار والتكيف مع المناخ في المناطق الصحراوية، وتحقق له حاجيات العيش لمدة كبيرة دون اللجوء إلى الخروج من محيط القصر، ومن خلال مجموعة من النماذج من القصور الصحراوية التي تتشابه إلى حد كبير في التخطيط العام والعناصر المكونة للقصر، فإنه يمكننا أن نستشف مجموعة من الشروط البنائية التي تشترك فيها القصور، وكذلك يمكننا استخلاص الكثير من الأبعاد الاجتماعية لنمط حياة أهل القصور الصحراوية.

وتهدف هذه الدراسة إلى تبيان الأبعاد الاجتماعية لسكان القصور وذلك من خلال النمط العمراني والعناصر المعمارية سواء في العمارة المدنية المتمثلة في البيوت والمساكن، أو في توزيع الشوارع والممرات والساحات العامة بالقصر الواحد، كل هذا لنصل إلى أن القصور الصحراوية لم تكن بناءات عشوائية فوضوية، بل تمت من خلال تخطيط محكم نواته المسجد الجامع، وتجسدت الكثير من التعاليم والأعراف المجتمعية في بناءه.

ونطلق من إشكالية عامة في هذه الدراسة مفادها: هل كانت عمارة القصور الصحراوية نتاج تفكير جماعي أمثلته المعتقدات الدينية والتقاليد المجتمعية لمجتمع القصور؟

ومن خلال الإشكالية العامة يمكننا طرح تساؤلات فرعية لمحاولة الوصول إلى النتائج المرجوة من الدراسة:

- ما هو تفسير تركز الجامع - في أغلب القصور الصحراوية - وسط القصر كنواة تنطلق منها عمليات البناء؟
- هل كان توزيع الشوارع والممرات والدروب يخضع لنظام توزيع الأحياء حسب القرابة؟
- كيف يمكننا تفسير تموضع العديد من العناصر المعمارية كما هو دون اللجوء إلى هندسة بشكل آخر؟
- هل خضعت عمارة القصور لشروط معينة من فقه العمران؟
- وانطلاقاً من الإشكالية العامة والتساؤلات الفرعية، قسمت البحث وفق الخطة التالية:
- مفاهيم عامة: شرح المصطلحات: القصر، المجتمع، الثقافة.
- العلاقة بين العمران والمجتمع من خلال:
- مكونات القصر
- الاعتبارات الاجتماعية في عمارة القصور الصحراوية.

1- مفاهيم عامة:

عند معالجة موضوع الأبعاد الاجتماعية في العمران بالقصور الصحراوية، فإنه لا بد علينا أن نحدد مجموعة من المصطلحات ونضبطها في سياقاتها التي نخدمنا للإجابة عن الإشكالية العامة المطروحة لدينا، لأننا نرى في موضوع هذه الدراسة عنصران متكاملان هما: المجتمع والعمران، ونقصد هنا التكامل الوظيفي العملي، لأنه لا يقوم المجتمع إلا في إطار مكاني يقوم عليه بناؤه، كذلك هو الحال للعنصر الثاني المتمثل في العمران الذي هو نتاج تفاعل المجتمع مع ذلك الحيز المكاني، وارتأينا هنا أن نطرح بعض التعريفات على النحو التالي:

1-1 مفهوم القصر:

"القصر" في اللغة هو المنزل، وهو كل بيت من حجر قرشية، سُمي بذلك لأنه تُقصر فيه الحرم وتُجس. (1)
أما مفهوم القصر في المناطق الصحراوية أو "القَصْر" بسكون اللام كما هو متداول في المناطق الصحراوية، فهو عبارة

عن قرية محصنة أو بالأحرى تكتلات سكنية مترابطة ومتلاحمة فيما بينها تقطنها مجموعات بشرية تنتمي إلى أصول عرقية أو طبقات اجتماعية مختلفة،⁽²⁾ به مجموعة من المنازل الموحدة الشكل واللون محاطة بسور مرتفع تتخلله أبواب فوق بروج مستديرة على جانبي مدخل القصر،⁽³⁾ وغالبا ما يُنسب اسم القصر إلى اسم الشخص أو الولي الصالح الذي كانت له مكانة علمية في وسط القبيلة التي كان يعيش فيها، وكان له الفضل في لم شملهم وتعليمهم، أو إلى القبيلة التي تسكن فيه، وقد يكتسب تسميته من الجهات الجغرافية التي تحدّد موقعه مثل القبلي أو الظهري، كما يُنسب أحيانا إلى لون مادة بناءه أو إلى المكان الذي يقع فيه أو قديمه أو حديثه، أو صغره أو كبره مثل: التحتاني، الفوقاني، القديم، الجديد، الكبير، الصغير ... إلخ.⁽⁴⁾

فالقصر له دلالاته الجغرافية كما له دلالة اجتماعية واقتصادية، وهو بذلك ثمرة اقتصاد سوسيو اقتصادي موجود في الواحات تتكامل فيه الجوانب الاجتماعية والاقتصادية بالجوانب العمرانية، ومن الصعب فصل جانب منها عن الآخر، حيث إن الجوانب الثلاثة هي المكونة للقصر.⁽⁵⁾

1-2 الثقافة والهوية لدى المجتمع:

إذا كانت الثقافة تعني في اللغة: التقويم، والإدراك، والحدق، يقال: ثقّف الشيء: أقام المعوج، ومنه: ثقفت الرمح أقمّت المعوج منه، وسوّيته،⁽⁶⁾ فإنها من الناحية الاصطلاحية كل ما أضافه الإنسان إلى الطبيعة وهذا التعريف مستمد من الأنثروبولوجيا الثقافية،⁽⁷⁾ وتعني التفرد بكل ما يتضمنه المعنى في كل من العادات وأنماط السلوك والميل والقيم ونظرة للكون والحياة،⁽⁸⁾ بل إن حتى الأخلاق والنظم والمهارات وطرق التفكير وأسلوب الحياة، والعرف والفن، والنحت والتصوير، والرقص الشعبي والأدب والرواية والأساطير والفلسفة والتاريخ، ووسائل الاتصال والانتقال، وكل ما صنعت يد الإنسان وأنتجه عقله من نتاج مادي وفكري أو توارثه الأجيال السابقة أو أضافه إلى تراثه نتيجة عيشه في مجتمع معين.⁽⁹⁾ تدخل ضمن ذلك التفرد. حيث تحتفظ لجماعة بشرية تشكل أمة أو ما في معناها بهويتها الحضارية في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء.⁽¹⁰⁾ فالثقافة تشكل كلا متجانسا، وفي كل عناصر نسق ثقافي يتناغم بعضها مع بعض، وهو ما يجعل كل نسق متوازنا ووظيفيا ما يفسر بأن كل ثقافة تسعى إلى الحفاظ على نفسها، مساوية لذاتها.⁽¹¹⁾ ودراسة وتحليل المحتوى الفكري والفلسفي للتراث (الثقافي) يؤدي إلى تفهم الفكرة والمضمون الذي أدى إلى ظهور هذا النوع من الفن، فالتراث هو نتاج تفاعل الإنسان مع بيئته بفكر وعقيدة المجتمع، ويشتمل على العادات والتقاليد والقيم وأساليب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لمجتمع ما في زمان ومكان محدد لذلك يحتوي على كثير من الأفكار والمفاهيم والأساطير التي تؤثر على ظهور أشكال فنية أو إنجازات عظيمة خلفتها لنا الحضارة على مر العصور.⁽¹²⁾

2- العلاقة بين العمران والمجتمع:

سبق وذكرنا في البداية أن العلاقة الوظيفية والنفعية بين المجتمع والعمران - في اعتقادنا - أنها تظهر في التأثير والتأثر في كل منهما على الآخر. فقد شكلت البيئة الصحراوية عقلية قاطنيها وساعدتهم على التفاعل المشترك بين

أفكارهم وفلسفتهم، وكيفية التعبير عن مجموعة من المبادئ التي تقوم عليها حياتهم وقد انعكس ذلك بصورة واضحة على نتاجها المعماري الذي حقق انعكاس القيم الاجتماعية والإنسانية والثقافية على البيئة العمرانية.⁽¹³⁾ حيث تظهر علاقة وثيقة الصلة بين الثقافة والمجتمع والعمران، فتعبر الثقافة عن الهوية الثقافية للمجتمع، كما أن العمران هو وسيلة الحفاظ على ملامح المجتمعات.⁽¹⁴⁾ ويمكننا توضيح تلك العلاقة من خلال العنصرين الآتيين:

2-1 المكونات العامة للقصر:

تمثل القصور الصحراوية صورة للمدينة بما تحمل الكلمة من معنى لأن القصر يحتوي على كل ضروريات العيش والاستقرار داخل السور، فالقصر الصحراوي هو تنظيم معماري متكامل ومتناسق ومنظم، قائم على عمارة دينية ومدنية ومنظومة بنائية دفاعية، تمكن المجتمع في هذه المناطق من خلال هذه العمارة أن يتعايش مع البيئة الصحراوية ويستقر داخل تلك القصور التي توفرت على شروط العيش والاستقرار في البيئة الصحراوية. فقد سمحت طبيعة التشكيلة الاجتماعية داخل القصر بظهور مؤسسات اجتماعية وسياسية تتكلف بضبط وتسيير الحياة اليومية لسكانه القصر بالاعتماد منظومة عرفية باعتبارها آلية لتدبير الاختلاف والتنوع، ومواجهة القهر الثقافي، وضمان التعايش والسلم الاجتماعي داخل فسيفساء إثنوغرافي ووسط يزخر بالتنوع والتعدد.⁽¹⁵⁾ كان لتلك النظم والمؤسسات أثر بارز في عمارة القصور الصحراوية يمكننا أن نلاحظه بعد النظر في التكوين المعماري للقصر، حيث يتكون القصر عموما من:

2-1-1 الأسوار:

الأسوار من أهمّ التّحصينات الحربية سواء على مستوى المدن أو المباني أو الحصون فهي خطّ الدفاع الأوّل، لأنّ المهاجمين إذا تمكّنوا من اقتحام أسوار المدينة والتّفاد منها إلى الداخل فإنّ هذا يعني تمكّنهم من الاستيلاء على باقي المدينة،⁽¹⁶⁾ ومن المعروف تاريخيا أن المسلمين كلّما فتحوا مدينة بادروا إلى تحصينها، كما اهتموا بترميم ما تضرر منها،⁽¹⁷⁾ ولا نجد في القصور الصحراوية قصرا يخلو من الأسوار الدفاعية والتي غالبا ما تبنى من الحجارة، ويكون الارتفاع فيها أكثر من ارتفاع المساكن، وتعلوها أبراج للمراقبة تختلف أشكالها وأعدادها من قصر لآخر، كما تتخللها فتحات صغيرة للمراقبة والرمي وتسمى "المزاغل".

2-1-2 المسجد الجامع:

المسجد مركز ترابط الجماعة الإسلامية وهيكلها المادي الملموس، فلا تكتمل الجماعة إلا بمسجد يربط بين أفرادها بعضهم ببعض، يتلاقون فيه للصلاة وتبادل الرأي، ويقصدونه للوقوف على أخبار جماعتهم، ويلتقون فيه مع رؤسائهم، أو يتجهون إليه لمجرد الاستمتاع بالعود في ركن من أركانه، فالمسجد على هذا ضرورة دينية وضرورة سياسية وضرورة اجتماعية أيضا بالنسبة لكل مسلم وبالنسبة لجماعة المسلمين.⁽¹⁸⁾

كانت مساجد القصور مكان يلتقي فيه الساكنة للصلاة، وكانت تؤخذ فيه القرارات السياسية والإعلامية والاجتماعية، كالصلح وحل النزاعات، فقد أدى الجامع في القصور الصحراوية دورا أساسيا ومحوريا في حياة السكان، ففيه حلق العلم، وتدار شؤون الناس في أمور معيشتهم، وعلاقاتهم مع غيرهم، وشكل هيئة تضامنية تدير مال الزكاة.⁽¹⁹⁾

2-1-3 الشوارع:

في القصور الصحراوية نجد أن بها أنواعا من الشوارع، حيث نجد الشوارع الرئيسية التي تطلق من المسجد باتجاه البوابات الرئيسية للقصر، ومنها ما يتجه للساحات العامة، وهذا ما يسمى التخطيط الشجري الذي يتضمن شارعا وطرق نافذة جانبية أقل اتساعا، وتمثل هذه النوعية الطرق العامة، كما توجد طرق فرعية أخرى غير نافذة لها دروب تمثل نوعية أخرى من الطرق، وهي الطرق غير النافذة.⁽²⁰⁾ وهذا التخطيط هو الغالب في القصور الصحراوية الجزائرية، ويمكننا تقسيم الشوارع إلى:

- **الشوارع الرئيسية:** وهي التي تربط أجزاء القصر فيما بينها وتربط القصر بالمحيط الخارجي.
- **ممرات فرعية (الدروب):** وهي أقل من الشوارع الرئيسية عرضا، والتي تؤدي إلى الأحياء السكنية، وتكون بعضها مغطاة في كثير من القصور وهو ما يسمى "الساباط".
- **ممرات خاصة (غير نافذة):** وهي شبيهة بالسقيفة تؤدي مباشرة إلى المسكن فقط.

2-1-4 الساحات العامة

تتميز أغلب القصور الصحراوية بوجود ساحات عامة تختلف مساحاتها من قصر لآخر، وهذه الساحات وظيفية وضرورية داخل المحيط العمراني للقصر، إذ تقام فيها الحفلات في الأعياد والمناسبات، وتستعمل كأسواق يومية لبعض السلع ذات الاستعمال يومي، كما تمثل متنفسا لسكان القصر، وغالبا ما نجدها غير منتظمة في تخطيطها، وفي كثير من القصور تكون الساحة الرئيسية بجانب الجامع، وتتوزع الساحات الأخرى بحسب الأحياء.

2-1-5 البيوت:

إن الإطار المبني للقصر المتراص يتكون من عدة أحياء سكنية مقسمة حسب العائلات القاطنة داخله،⁽²¹⁾ وتميزه بالتراص والتضام يدل على الكثافة العالية للمساكن الفردية ذات النمط التقليدي القديم، والذي يعكس فكرة التماسك الاجتماعي.⁽²²⁾

وتتميز البيوت السكنية بالقصور بالتواضع والتشابه إلى حد كبير خاصة في واجهاتها الخارجية، نجد منها ما يتكون من طابق ومن طابقين، غير أنها تشبه إلى حد كبير في تصميمها الداخلي الذي ينطلق من المدخل المنكسر الذي يؤدي إلى صحن المسكن، وتتوزع بالفناء الوحدات والغرف المعيشية، حيث نجد المساكن تحتوي كل المساحات الضرورية من غرف ومخازن وصحن والكنيف، وما يميزها أنها موجهة للمحيط الداخلي، أي أن الفتحات والنوافذ لا توجه للشوارع إلا ما كان مرتفعا كثيرا. ونرجع هذا التكوين المعماري إلى التعاليم الدينية التي من بينها الحياء والحُرمة لأسرار البيت والسُّترة الخاصة به، على غرار ما فعلته المجتمعات الإسلامية وهي ظاهرة أضحت من أهم مميزات العمارة الإسلامية.⁽²³⁾

2-2 الاعتبارات الاجتماعية في عمارة القصور:

حين نحاول وضع دراسة تنميطية لمجموعة مادية ما، فإننا نرجع إلى أصولها لنتمكن من تحديد التشابه والاختلاف، كذلك هو الحال بالنسبة للعمارة، فإننا حين نحاول تحديد هوية منطقة من المناطق وتناول مسألة النوعية الحضرية وميزاتها فإننا نحدد بعدان أساسيان، الأول البعد المادي الذي يعتمد على المكان والبيئة والمحيط، والثاني البعد

الثقافي الذي يضم المجتمع والأنشطة والسلوكيات وغيرها.⁽²⁴⁾ لأننا نجد علاقة وثيقة الصلة بين الثقافة والمجتمع والعمران، فتعبر الثقافة عن الهوية الثقافية للمجتمع، كما أن العمران هو وسيلة الحفاظ على ملامح المجتمعات.⁽²⁵⁾ ويمكن فهم إحساس الإنسان ببيئته وشعوره الشخصي تجاه المدينة على أنها تفاعل مستمر بين الإنسان والمكان، وهذا تفاعل قائم بين الإحساس الداخلي والبيئة، يتجسد من خلال تأويل الذهن وتفسيره للعلاقات البيئية، لذا فإن عملية الإدراك هي عملية إبداعية وليست مجرد استقبال جامد للمؤثرات البيئية التي تتمثل في المحيط الطبيعي والمحيط الفكري والمحيط العمراني، لذا فإن كل من البيئة الفكرية والبيئة الطبيعية تتفاعلان لتموين البيئة العمرانية...، فالحيز المكاني لا يقتصر على الخصائص الفيزيائية وإنما يتعداها إلى الهوية التي تمنح الإحساس بحيوية الحيز المكاني وتحقيق المنفعة مع المحافظة على الخصوصية.⁽²⁶⁾

والعلاقة بين العمران والمجتمع هي علاقة بين بيئة مادية وأخرى غير مادية، حيث أن المحتوى المادي (العمران) الذي يشمل مجموعة الأنشطة والعلاقات الاجتماعية التي تؤثر على الأنساق السلوكية لأفراد المجتمع، وهي بدورها تؤثر على تفاعل الأفراد مع البيئة العمرانية باختلاف ردود أفعالهم، وبالتالي فإن كل من العمران والمجتمع يرتبط بالآخر بعلاقة تبادلية التأثير والتأثر، فمن الممكن أن يؤثر العمران في المجتمع ويكون أداة لتنميته وتطويره، كما أن المجتمع يمكن أن يؤثر على العمران فيأتي العمران انعكاسا لملامح وقيم المجتمع،²⁷ ويمكننا أن نطرح هذا التصور في النقاط التالية:

2-2-1 النظام العام لعمارة القصر:

أغلب المراجع تشير إلى أن عمارة القصور الصحراوية الجزائرية خضعت للتعاليم الدينية المستمدة من فقه العمران. والذي على مجموعة من الأحكام أهمها:

- الضرر يزال ولا يزال بمثله
- يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام
- يزال الضرر الأشد بالضرر الأخف
- إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمها بارتكاب أخفها
- الضرر يدفع قدر الإمكان.⁽²⁸⁾

2-2-2 النظام الاجتماعي داخل القصر

خضعت عمارة القصور لمجموعة من الاعتبارات والسلوكيات التي فرضتها العادات والتقاليد والأعراف للمجتمع الصحراوي خاصة مجتمع القصر، وتبرز تلك الإملاءات الاجتماعية في مجموعة من المظاهر البنائية سواء في المحيط الداخلي للبيوت السكنية أو في المحيط الداخلي للقصر عموماً ويمكن أن نذكر أهمها:

أ- حسن الجوار:

يشكل احترام الجوار مبدأ أساسياً في تشكيل عمارة القصور حيث تم اتفاق المجتمع على عدة مبادئ في البناء داخل النسيج المعماري يتميز بها السكان، ومن أهمها:⁽²⁹⁾

- عدم فتح باب مقابل باب الجار

- عدم تغطية الشمس والرياح على الجار ببناء الجدران والأسوار العالية
- منع فتح نوافذ وكوات مقابلة لنوافذ الغير
- تفادي وضع الميازيب باتجاه سطح الجار أو فنائه.

ب- التعايش:

نشأت المدن نتيجة الرغبة في التعايش كمجموعات بالنسبة للأفراد، ولتحقيق الاستقرار الذي كان يحاول الإنسان القديم جاهدا الحصول عليه، فمن الريف والصحراء والغابات، بدأ ينتقل تدريجيا للوصول إلى مفهوم جديد للتعايش، يضمن استقراره، ويحقق له في نفس الوقت الحماية من كل المؤثرات الخارجية،⁽³⁰⁾ وهو ما نجده في القصور الصحراوية التي أنشأتها الجماعات من أجل ذلك التعايش ضمن مجموعة تحكمها نفس التنظيمات وتشكل قاعدة للاستقرار والعيش ضمن مجتمع القصر. في حين نجد أن الكثير من القصور نشأت بسبب رئيسي هو تخزين المنتجات الغذائية للقبائل الرحل أو القبائل المتاخمة له لأن أغلب القصور الصحراوية قد نشأت أصلا عند طرق مرور القوافل التجارية والمسافرين والحجاج التي تخترق الصحراء، وبعضها أسست لتكون محطات تجارية حيث نجد فيها الراحة والمأوى والطعام.⁽³¹⁾ وهذا كله ضمن إرادة التعايش الجماعي لسكان الصحراء.

3- النتائج:

يمكننا أن نلخص مجموعة من النتائج حول الأبعاد الاجتماعية من خلال عمران القصور الصحراوية الجزائرية، والتي تظهر بعد التحليل لمختلف الهياكل العمرانية للقصر، ونوردها على النحو التالي:

- تقدم العمارة الصحراوية الصورة المثالية في التكافل والتضامن والاحترام والتماسك كما أمر الدين الإسلامي من خلال صورة المجتمع الصحراوي.
- تتجلى حرمة وقداسة القصر بعدم السماح للأجانب بالتجول في الساحات العامة أين تعقد الأسواق للمبادلات التجارية.⁽³²⁾
- شيدت هذه القصور بشكل متراس تبدو وكأنها كتلة واحدة، ولم يكن السبب في ذلك التقليل من أشعة الشمس فحسب، بل بل تمثل هذه الظاهرة التضامن والتآزر الذي يربط سكان هذه القصور الصحراوية ببعضها.⁽³³⁾
- استغلال المواد المحلية المتوفرة وتسخيرها في إنشاء عمائمه ومبانيه وهي في حد ذاته تحدي للإنسان الصحراوي دون اللجوء إلى استيرادها من مناطق أخرى يتطلب شروطا لا يستطيع توفيرها.
- فالقصر بمثابة النافذة المفتوحة على حضارة الشعوب، ويعتبر كأداة للتعبير الفكري والثقافي الحضاري كما يحدد إطار النمط الحياتي وكيفية تنميته في جميع النواحي.⁽³⁴⁾

خاتمة:

وختاماً يمكننا القول أن القصور الصحراوية الجزائرية تمثل بحق نموذجاً منظماً للمدينة القديمة والإسلامية، حيث جاءت عمارة القصور متكاملة بين العمارة الدينية التي تنطلق من المسجد الجامع داخل القصر، ومنه تمتد العمارة المدنية المتمثلة في البيوت والمساكن والمرافق العامة، لتحتويها الأسوار الدفاعية المحصنة للقصر، كل هذا التنظيم الذي نراه في القصور، نتج عن تنظيم اجتماعي محكم رسمته التعاليم الدينية ومنظومة من القيم والتقاليد التي سطرت أمور معاشه، فظهرت العلاقة التبادلية بين العمران والمجتمع على حد سواء، فكانت الأبعاد الاجتماعية هي التي خططت هذا القصر وفق احتياجات مادية ومعنوية، وكان لذلك التخطيط والعمران أثر على فئات المجتمع من خلال ما يفرضه النظام العام للسكن والعمل والرعي والتسوق وغيرها من أمور المعاش، وكما ذكرنا سابقاً أن القصر يمثل لنا نافذة من خلالها يمكننا تحديد العديد من الأبعاد الاجتماعية لسكان القصور الصحراوية الجزائرية.

المراجع:

- 01- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، ط01، ج11
- 02- امبارك بوعصب، القصور والقصبات بمنطقة تافيلالت دراسة عمرانية ومعمارية، المركز المغربي للدراسات التاريخية، فاس، ط1، 2017
- 03- بلقاسم التخي، الجانب الجمالي والرمزي في عمارة قصور منطقة الأغواط، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط، الجزائر، ع02، ماي 2016
- 04- بوقزولة عبد المالك، دراسة أثرية واجتماعية تحليلية للمجتمع الصحراوي من خلال القصور الصحراوية - تقرت نموذجاً، مجلة منبر التراث، ع04، ديسمبر 2015
- 05- ثريا حامد يوسف، التراث كمدخل لتحقيق الهوية الذاتية في الفن المعاصر، مجلة العمارة والفنون، الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية، ع10، أبريل 2018
- 06- ثروة عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، بيروت، 1984
- 07- جميل عبد القادر أكبر، عمارة الأرض في الإسلام، مقارنة الشريعة بأنظمة الحكم الوضعية، دار البشير للنشر والتوزيع، ط2، 1995
- 08- حسين مؤنس، تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، طبعة المدني، مصر.
- 09- حسين مؤنس، المساجد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981
- 10- حملاوي علي، قصور منطقة جبال عمور، السفح الجنوبي، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2001
- 11- خالد محمد أبو شعيرة، تائر أحمد غباري، الثقافة وعناصرها، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2015
- 12- دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2007
- 13- زهية شويشي، مجتمع القصور في الخصائص الاجتماعية والعمرانية والثقافية لقصر مدينة تقرت، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، 2005
- 14- محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة الأثرية، دراسة معمارية أثرية، دار الحكمة للطباعة والنشر والترجمة، الجزائر، 2007

- 15- محمد بيدي ، الخصائص العامة لقصور الجنوب الغربي الجزائري، مجلة دراسات، الجزائر، مجلد5، ع01، جوان 2016
 - 16- محمد الجابري عابد، العولمة والهوية الثقافية، مجلة المستقبل العربي.
 - 17- مريم لام، العمارة الصحراوية وأنماطها الاجتماعية دراسة سوسيو انثربولوجية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، جامعة غرداية، 2011،
 - 18- مصطفى مسلم، فتحي محمد الزغبى، الثقافة الإسلامية، تعريفها مصادرها مجالاتها تحدياتها، إثراء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007
 - 19- منى دحمون، قصور الأطلس الصحراوي الغربي بمنطقة البيض، قصر أرباوات أنموذجا، أعمال الملتقى الوطني: قصور الأطلس الصحراوي، 27 أكتوبر 2021، الأغواط
 - 20- حمود نعيمة، حماية القصور الصحراوية في إطار التنمية المستدامة بالجزائر، مجلة علوم وتكنولوجيا، ع39، جوان 2014
 - 21- نهي محمد الصياد، اثر التغيرات الثقافية على الانساق التصميمية للنتاج البنائي، رسالة ماجستير، قسم العمارة، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، 2005
 - 22- عبد الباسط هويدي، فتيحة زايدى، التراث العمراني الصحراوي والهوية الثقافية للقصر العتيق بمدينة ورقلة، مقاربة سوسيو ثقافية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، أعمال الملتقى الدولي، الدراسات التاريخية والمعالم الأثرية القديمة، ع16
 - 23- فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984
 - 24- سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، دار النهضة، بيروت، 1983
 - 25- هبول حنان، إعادة تأهيل القصور الصحراوية، قصر عين ماضي نموذجاً، رسالة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، 2010/2011
 - 26- ياسر عبد الكريم الحوراني، الوجيز في الثقافة الإسلامية، مجدلاوي للنشر والتوزيع.
 - 27- يحيى وزيرى، العمران والبنيان في منظور الإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 2008، الكويت.
- الهوامش:**

- (1) ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، ط01، ج11، ص 55
- (2) حملاوي علي، قصور منطقة جبال عمور، السفح الجنوبي، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2001، ص 188
- (3) محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة الأثرية، دراسة معمارية أثرية، دار الحكمة للطباعة والنشر والترجمة، الجزائر، 2007، ص 18
- (4) بيدي محمد، الخصائص العامة لقصور الجنوب الغربي الجزائري، مجلة دراسات، الجزائر، مجلد5، ع01، جوان 2016، ص 269
- (5) امبارك بوعصب، القصور والقصبات بمنطقة تافيلالت دراسة عمرانية ومعمارية، المركز المغربي للدراسات التاريخية، فاس، ط1، 2017، ص 30
- (6) مصطفى مسلم، فتحي محمد الزغبى، الثقافة الإسلامية، تعريفها مصادرها مجالاتها تحدياتها، إثراء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007، ص 17
- (7) ياسر عبد الكريم الحوراني، الوجيز في الثقافة الإسلامية، مجدلاوي للنشر والتوزيع، ص 11
- (8) سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، دار النهضة، بيروت، 1983، ص 22
- (9) خالد محمد أبو شعيرة، نائر أحمد غباري، الثقافة وعناصرها، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2015، ص 18
- (10) محمد الجابري عابد، العولمة والهوية الثقافية، مجلة المستقبل العربي، ص 14
- (11) دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2007، ص 59

- (12) ثريا حامد يوسف، التراث كمدخل لتحقيق الهوية الذاتية في الفن المعاصر، مجلة العمارة والفنون، الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية، ع10، أفريل 2018، ص 170
- (13) شويشي زهية، مجتمع القصور في الخصائص الاجتماعية والعمرانية والثقافية لقصر مدينة تڨرت، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، 2005، ص 53
- (14) عبد الباسط هويدي، فتحة زايد، التراث العمراني الصحراوي والهوية الثقافية للقصر العتيق بمدينة ورقلة، مقاربة سوسيو ثقافية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، أعمال الملتقى الدولي، الدراسات التاريخية والمعالـم الأثرية القديمة، ع16، ص 206
- (15) امبارك بوعصب، مرجع سابق، ص 132
- (16) يحيى وزيري، العمران والبنـيان في منظـور الإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 2008، الكويت، ص 51
- (17) حسين مؤنس، تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، طبعة المدني، مصر، ص 583
- (18) حسين مؤنس، المساجد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981، ص 30
- (19) منى دحمون، قصور الأطلس الصحراوي الغربي بمنطقة البيض، قصر أرباوات أنموذجا، أعمال الملتقى الوطني: قصور الأطلس الصحراوي، 27 أكتوبر 2021، الأغواط.
- (20) محمد عبد الستار عثمان، فقه العمارة الإسلامية، مرجع سابق، ص 06
- (21) بوقزولة عبد المالك، دراسة أثرية واجتماعية تحليلية للمجتمع الصحراوي من خلال القصور الصحراوية - تڨرت نموذجاً، مجلة منبر التراث الأثري، ع04، ديسمبر 2015، ص 80
- (22) حمود نعيمة، حماية القصور الصحراوية في إطار التنمية المستدامة بالجزائر، مجلة علوم وتكنولوجيا، ع39، جوان 2014، ص 06
- (23) ثروة عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، بيروت، 1984، ص 61
- (24) عبد الباسط هويدي، فتحة زايد، التراث العمراني الصحراوي والهوية الثقافية للقصر العتيق بمدينة ورقلة، مقاربة سوسيو ثقافية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، أعمال الملتقى الدولي، الدراسات التاريخية والمعالـم الأثرية القديمة، ع16، ص 206
- (25) عبد الباسط هويدي، المرجع السابق، ص 208
- (26) عبد الله سعدون، سلمان العموري، العمارة العربية الإسلامية بين متطلبات الحاجة ومثالية التنظير، ص 03
- (27) نحي محمد الصياد، اثر التغيرات الثقافية على الانساق التصميمية للنتاج البنائي، رسالة ماجستير، قسم العمارة، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، 20025، ص 126
- (28) جميل عبد القادر أكبر، عمارة الأرض في الإسلام، مقارنة الشريعة بأنظمة الحكم الوضعية، ط2، دار البشير للنشر والتوزيع، 1995، ص 201
- (29) النخي بلقاسم، الجانب الجمالي والرمزي في عمارة قصور منطقة الأغواط، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط، الجزائر، ع02، ماي 2016، ص 290
- (30) الأغواط محمد عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 12
- (31) فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 19
- (32) بوقزولة عبد المالك، دراسة أثرية واجتماعية تحليلية للمجتمع الصحراوي من خلال القصور الصحراوية - تڨرت نموذجاً، مجلة منبر التراث، ع04، ديسمبر 2015، ص 18
- (33) هبول حنان، إعادة تأهيل القصور الصحراوية 3 قصر عين ماضي نموذجاً، رسالة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، 2010/2011، ص 20
- (34) مريم لمام، العمارة الصحراوية وأنماطها الاجتماعية دراسة سوسيوأنثروبولوجية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، جامعة غرداية، 2011، ص 323